رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ ـ الجريمة ..

لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، على العاصمة اليابانية (طوكيو)، عندما انطلقت سيارة سوداء كبيرة عبر شوارعها الواسعة، متجهة نحو أطرافها، حيث المنطقة الصناعية الكبرى، التى اخترقتها بسرعة أقل نسبيًا، حتى بلغت ساحة شبه مهجورة، خلف أحد المصانع الضخمة، فتوقّفت، وغادرها سائقها، مع شاب نحيل طويل، وراحا يفحصان المكان فى اهتمام بالغ، للتأكُّد من أن المنطقة خالية تمامًا، قبل أن يعود النحيل إلى السيارة، ويفتح بابها الخلفى، ثم ينحنى فى احترام شديد، مغمغمًا :

ـ كل شىء على ما يرام يا (يوشيدا) سان(*) .

تطلع إليه الرجل الجالس فى السيارة، والذى بدا متين البنيان، على الرغم من سنوات عمره الخمسين، والشعر الأشيب تمامًا، الذى يكسو رأسه، وقال بلهجة من اعتاد إلقاء الأوامر طيلة عمره :

(*) كلمة (سان) تعنى (السيد المحترم) باليابانية .

- متى سيصل ذلك الصحفى ؟!

ألقى النحيل نظرة على ساعة يده ، وهو يجيب :

- المفترض أن يصل الآن يا (يوشيدا) سان .

لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى برزت سيارة يابانية حمراء ، من خلف المصنع ، واتجهت نحوهم ، فاعتدل النحيل ، قائلاً :

- ها هو ذا .

تطلّع الأشيب فى اهتمام إلى السيارة ، التى أثارت خلفها سحابة من الغبار ، وهى تنطلق بسرعة ، على الجانب غير الممهّد من الطريق ، قبل أن تتوقّف على مسافة أمتار قليلة من السيارة السوداء ، ويغادرها رجل فى منتصف الأربعينات ، ممتلئ إلى حد ما ، ويبدو أنيقًا وقورًا ، فى حلة غالية الثمن ، ومع فوديه الأشيبين ، اللذين يتألّقان فى شعره الحالك السواد ..

ولثوان ، ران على الجميع صمت تام ، والقادم الجديد يتطلّع إلى السيارة - والرجلان أمامها - فى شك وحذر ، قبل أن يقول بصوت أجش :

- أين السيّد (يوشيدا) ؟

خرج الأشيب من السيارة ، ووقف إلى جوارها فى معطفه الأنيق ، وهو يقول فى شىء من الصرامة :

- هأنذا يا (موكيتا) سان .. جئت لمقابلتك بنفسى .

سأله الصحفى فى عصبية واضحة :

- لماذا اخترت هذا المكان المهجور للقاء يا(يوشيدا)؟!.. وفى هذا الموعد بالذات ؟! .. أصارحك أن الشك قد ملأ نفسى ؛ حتى إننى اتخذت كافة الاحتياطات ؛ لعودتى سالمًا .

ظلّ وجه (يوشيدا) جامدًا صارمًا ، وهو يجيب :

- إننى شخصية شهيرة ومرموقة فى عالم المال والتجارة ، وفى قلب المجتمع الراقى يا (موكيتا) سان ، ومن الطبيعى أن أسعى لتحاشى الفضول الصحفى وأعين الرقباء .

لوّح الصحفى بسبابته فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

- فليكن يا (يوشيدا) ولكن عليك أن تعلم أن كل الوثائق التى تدينك ما زالت بحوزتى ، بما فيها من تفاصيل وقائع الرشوة والفساد ، وأسماء رجال الشرطة ، والوزراء ، وحتى رجال العصابات الذين تربطك بهم علاقات مشبوهة .. باختصار .. لدى كل ما يكفى لتدميرك .

ضمّ النحيل قبضته ، وندت منه حركة عصبية ، وكأنه يهمّ بالانقضاض على الصحفى ، ولكن (يوشيدا) استوقفه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- أعلم هذا يا (موكيتا) سان ، ولعل هذا هو السبب الوحيد ، الذى دفعنى لمقابلتك هنا .

أجابه الصحفى فى توتر :

- وأنا أحمل فى أعماقى جبلاً من الشك ، حول سبب هذه المقابلة يا (يوشيدا) .. وأعلم أنك مستعد لقتلى ، لو اقتضى الأمر ، حتى لا أفضح أمرك ، ولهذا اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، قبل أن آتى لمقابلتك وحدى هنا .

قال (يوشيدا) فى برود :

- حقًا ؟!

هتف الصحفى فى حدة :

- نعم يا (يوشيدا) .. لقد اتصلت برئيس الشرطة نفسه ، وسلمته مظروفًا مغلقًا ، يحوى كل الوثائق التى تدينك ، وطلبت منه فتحه فى حالة وفاتى ، أو تعرضى لأى حادث عارض .

ران على المكان سكون رهيب ثقيل ، بعد أن نطق الصحفى عبارته الأخيرة ، وعقد النحيل حاجبيه فى شدة ، وهو يهمهم بكلمات غاضبة غير مفهومة ، فى حين ظل (يوشيدا) جامدًا صامتًا لبعض الوقت ، قبل أن يقول فى برود :

- لماذا وافقت على مقابلتى إذن يا (موكيتا) سان ؟!

لوّح الصحفى بسبابته فى وجهه ، مجيبًا فى صرامة :

- لأملى عليك شروطى يا (يوشيدا) .

زمجر النحيل فى غضب ، وصاح :

- أنت أيها الحقير .. أنت تملى شروطك على (فاكو يوشيدا) سان !؟ .. أنت !!

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يشير بيده ، قائلاً فى صرامة :

- (ميتسو) .

تراجع النحيل فور سماع اسمه ، وخفض عينيه ، مغمغمًا :

- أعتذر يا (يوشيدا) سان .. أعتذر .

رمقه الرجل بنظرة صارمة أخرى ، ثم التفت إلى الصحفى ، وقال :

- وما شروطك يا (موكيتا) سان ؟

عاد الصحفى يلوّح بسبابته فى وجهه ، قائلاً :

- أن ينتهى كل هذا الفساد يا (يوشيدا) .. اكشف أمر كل هؤلاء المرتشين ، أو اقطع صلتك بهم ، وأعد الملايين العشرين ، التى استوليت عليها ، إلى خزانة الدولة ، وعندئذ ..

قاطعه (يوشيدا) فى سخرية :

- وعندئذ تصدر قرارك بالعفو عنى .. أليس كذلك يا (موكيتا) سان ؟! .

اتسعت عينا الصحفى فى توتر ، قبل أن يقول فى عصبية :

- هل تسخر منى يا (يوشيدا) ؟!

أجابه الأشيب فى صرامة :

- هذا كل ما تستحقه يا (موكيتا) .. السخرية .. هل كنت تتصورَّ أنك قادر على هدم إمبراطورية (يوشيدا) ؛ لمجرَّد أنك نجحت فى استغلال غباء البعض ، وحصلت على كومة من الوثائق ؟! هل اعتقدت أنك ستملى شروطك علىَّ ؛ بسبب أمر تافه كهذا ؟! ..

احتقن وجه الصحفى ، وهو يقول فى حدة :

- إننى أحذِّرك يا (يوشيدا) .. الوثائق عند رئيس الشرطة بالفعل ، وسيعلنها فى ..

قاطعه (يوشيدا) بضحكة ساخرة مباغتة ، شحب لها وجهه فى شدة ، واتسعت لها عيناه فى ارتياع ، قبل أن يقول (يوشيدا) فى غضب صارم ، وهو يشير إلى سائقه :

- تُرى هل تقصد هذه الوثائق ؟!

ومع قوله ، التقط السائق من داخل السيارة مظروفًا كبيرًا ، لوَّح به فى وجه (موكيتا) ، وهو يبتسم فى سخرية ..

واتسعت عينا الصحفى فى ارتياع أكثر ، يمتزج برعب لا حدود له ..

إنه نفس المظروف ..

نفس مظروف الوثائق ، الذى سلَّمه يدًا بيد لرئيس الشرطة (فوجى ياما) ..

وفى هلع ، هتف :

- مستحيل ! .. هل تعنى أن ..

قاطعه (يوشيدا) فى مزيج من السخرية والصرامة :

- نعم يا (موكيتا) .. القوائم التى حصلت عليها لم تكن كاملة .. كان ينقصها اسم أكبر المتعاونين معنا .. رئيس الشرطة نفسه .

تراجع (موكيتا) فى رعب ، وهو يلوِّح بيده ، هاتفًا :

- لا .. لا .. مستحيل !

ثم دار على عقبيه ، واندفع محاولاً القفز داخل سيارته ، ولكن (يوشيدا) هتف فى غضب :

- (ميتسو) .

قبل حتى أن ينتهى من هتافه ، كان النحيل يثب وثبة خرافية مدهشة ، ليهبط خلف الصحفى مباشرة ، ثم هوى على ظهره بلكمة كالقنبلة ، صرخ لها الرجل فى ذعر وألم ، واندفع إلى الأمام ؛ ليرتطم بسيارته فى عنف ، ثم يرتدّ عنها ككرة من المطاط ..

ومع ارتداده ، استقبله (ميتسو) بلكمة أخرى فى فكه ، وثالثة فى أنفه ، قبل أن يتراجع ، ويثب ليركله فى أسنانه مباشرة لكمة قوية ، تفجّرت لها الدماء من فم الصحفى ، ثم سقط على ركبتيه أرضًا ، وهو يهتف :

ـ لا .. لا .. الرحمة يا (يوشيدا) سان .. الرحمة .

خلع (يوشيدا) قفاز يده اليمنى ، وهو يقول :

ـ الرحمة ؟! .. يا له من مطلب ! .. أتعلم لماذا أصررت على الحضور بنفسى ، على الرغم من ثقتى فى انعدام خطورتك بالنسبة لى ؟!

ودسّ يده فى جيب معطفه ؛ ليخرجها قابضة على مسدس كبير ، وهو يستطرد فى صرامة تمتزج بغضب هادر :

ـ لأنعم بقتلك شخصيًا يا (موكيتا) ... سان .

صرخ الصحفى فى رعب ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ لا يا (يوشيدا) .. لا .

ومع آخر حروف صرخته ، انطلقت رصاصات مسدس (يوشيدا) ..

ونسفت رأس الصحفى المسكين ..

وبلا رحمة ..

ومع دوى الرصاصات ، انطلقت شهقة ..

شهقة التقطتها أذن (يوشيدا) المرهفة ، على الرغم من الأمتار العشرة ، التى تفصله عن مصدرها ..

وبحركة حادة ، التفت (يوشيدا) إلى مصدر الشهقة ..

وانعقد حاجباه فى شدة وغضب ..

لقد وقعت عيناه على رجل فى منتصف الخمسينات من عمره ، يرتدى حلة رياضية وحذاءً مطاطيًا ، يخرج من خلف المصنع ، ويعدو مبتعدًا ، نحو سيارة صغيرة ، انتبه إليها بغتة ، مع اتجاه الرجل نحوها ..

وبكل غضبه وثورته ، صرخ (يوشيدا) ، مشيرًا إلى الرجل :

ـ (ميتسو) .. هناك .

التفت (ميتسو) إلى الرجل ، ثم وثب داخل سيارة الصحفى ، وأدار محركها ، وانطلق بها محاولاً اللحاق به ..

شهقة التقطتها أذن (يوشيدا) المرهفة ، على الرغم من الأمتار العشرة ، التي تفصله عن مصدرها ..

ولكن الرجل قفز إلى سيارته الزرقاء الصغيرة ، التى تختفى خلف كومة من مخلفات الصناعة ، وانطلق بها بأقصى سرعة ..

وقفزت دهشة (ميتسو) إلى ذروتها ، وهو يطارد الرجل ، الذى قاد سيارته بمهارة مذهلة ، وراح يناور بها على نحو رائع ، وكأنه يفعل هذا منذ نعومة أظفاره ..

وفى الوقت ذاته ، صاح (يوشيدا) بسائقه ، وهو يدلف إلى سيارته :

ـ هيا .. عد بنا إلى المنزل .. لم يعد وجودنا هنا آمنًا .

وعندما انطلق السائق بالسيارة الكبيرة ، مبتعدًا عن مسرح الجريمة ، كان (ميتسو) يزيد سرعة سيارته إلى أقصى حد ، وهو ينطلق خلف السيارة الصغيرة ، هاتفًا :

ـ لن يمكنك الفرار منى يا هذا .. سيارتى أقوى من سيارتك التافهة بكثير .

ولكنه لم يكد يتم عبارته ، حتى أثبت له قائد السيارة الصغيرة أن القوة وحدها لا تكفى للنصر ..

لقد انحرف بسيارته بغتة ، متجاوزًا الطريق الرئيسى ، ووثب بها فى خفة إلى الجزء غير الممهد ، ثم اندفع

عبر علامتين أسمنتيتين ، ومال جانبًا ، قبل أن ينطلق فى طريق فرعى ضيق ..

وراح (ميتسو) يسبّ ويلعن ، وهو يضطر للتوقُّف ؛ بحثًا عن وسيلة لدخول ذلك الطريق الضيق ، ثم لم يجد أمامه سوى أن يندفع عبر الطريق الرئيسى ، بمحاذاة الطريق الفرعى ، ليعترض السيارة الصغيرة فى نهايته ..

ولكن قائد السيارة الصغيرة خدعه للمرة الثانية .

لقد سمح له بتجاوزه فى الطريق الرئيسى ، ثم ضغط فرامل سيارته بغتة ، وانحرف بها إلى اليسار فى مهارة مدهشة ، وعبر الطريق الفرعى إلى الرئيسى ، من خلال فراغ صغير ، تجاوزته سيارته بالقوة ؛ لتمرق خلف سيارة (ميتسو) مباشرة ..

وضغط (ميتسو) فرامل سيارته فى قوة ، وهو يكاد يجنّ من فرط الغضب ، وأدار عجلة قيادتها صارخًا :

ـ اللعنة ! .. اللعنة !.

ولكن السيارة الصغيرة قفزت إلى الطريق العكسى بغتة ، ثم تجاوزته إلى أحد مداخل العاصمة بسرعة مدهشة ..

وأدار (ميتسو) عجلة قيادة سيارته إلى الجهة الأخرى بسرعة ، وحاول الاندفاع خلف السيارة الصغيرة ، التى أطلق قائدها العنان بسرعتها ، وهو يعبر شوارع (طوكيو) على نحو يشفّ عن مهارته ، وعن معرفته الطريق بالضبط .

ومع مشرق الشمس ، ارتفعت حرارة المطاردة ، فى قلب العاصمة اليابانية ، بين السيارتين الكبيرة والصغيرة إلا أن تلك الأخيرة عبرت طريقًا فرعيًا ، ثم اتجهت مباشرة نحو مبنى من طابقين ، يحمل شعارًا رسميًا ، ويقف على بوابته المعدنية الكبيرة طاقم حراسة ، يشف عن أهميته ومكانته ..

ولم يكد طاقم الحراسة يلمح السيارة الزرقاء الصغيرة ، حتى فتحوا أمامها البوابة فى سرعة واحترام ، وكأنهم يعرفون هوية صاحبها ..

وهنا ضغط (ميتسو) فرامل سيارته فى قوة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يحدق فى المبنى والشعار الرسمى على بوّابته ، قبل أن يغمغم :

ـ اللعنة ! .. هذا يفسد كل شىء ..

قالها ، وأدار عجلة القيادة ، لينطلق مبتعدًا عن المبنى بقدر الإمكان ، وهو يكرّر عبارته الغاضبة المحنقة ..

هذا لأن المبنى ، الذى دخلته السيارة الزرقاء الصغيرة ، كان يخص إحدى السفارات ..

وهى سفارة (جمهورية مصر العربية) بالتحديد ..

★ ★ ★

انحدرت دموع ساخنة صامتة على وجنتى (قدرى) خبير التزييف والتزوير الأوّل ، فى المخابرات العامة المصرية ، وهو يقطع ذلك الممر الواسع الهادئ ، فى قسم العناية الفائقة والحالات الحرجة ، فى مستشفى القوات المسلّحة بحى (المعادى) ، وبدا له أن ساقيه تعجزان عن حمل جسده الضخم ، وتدفعان قدميه فى صعوبة ، فضغط يد خطيبته مضيفة الطيران (هبة) ، على نحو جعلها تلتفت إليه فى دهشة ، متسائلة :

ـ ماذا دهاك يا (قدرى) ؟!.. أتعانى من عقدة خوف من المستشفيات أم ماذا ؟! .. إنك ترتجف بشدة منذ وصولنا ؟!

ازدرد (قدرى) لعابه فى صعوبة ، محاولاً السيطرة على مشاعره ، إلا أن صوته خرج من بين شفتيه متحشرجًا منفعلاً ، وهو يقول :

ـ لا يمكنك أن تتصورى ما يعنيه (أدهم) و (منى) بالنسبة لى .. إنهما أقرب صديقين لى فى الوجود ،

وليس من السهل علىّ أن أرى كليهما فى مثل هذه الحالة .

قالت مستنكرة :

ـ أية حالة ؟! .. ألم تخبرنى بنفسك أن (منى) قد استعادت وعيها ، بعد أن ظلّت أسيرة غيبوبة عميقة لفترة طويلة ، وأن (أدهم) قد نجا من موت محقق بمعجزة ، على الرغم من إصاباته المتعدّدة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى تأثر :

ـ هذا صحيح ، ولكن الأمور لم تعد كما كانت ، فلقد استعادت (منى) وعيها ، لتجد (أدهم) فى غيبوبة ، بسبب إصاباته العنيفة ، ويرقد على مسافة عشرة أمتار منها ، وهى عاجزة حتى عن رؤيته ، وفى الوقت نفسه وجدت أمامها زميلته الجديدة (جيهان) ، بكل سحرها وجمالها وفتنتها ، وشخصيتها القوية ، التى تتناسب أكثر مع شخصية (أدهم) .. أخبرينى بالله عليك ، ماذا سيكون شعورك ، لو وجدت نفسك فى مكانها ؟!

زوت (هبة) ما بين حاجبيها الجميلين ، وهى تقول :

ـ المرأة يمكن أن تحتمل أى شىء ، فى سبيل من تحب .

ثم أردفت فى حزم :

ـ ألا وجود امرأة أخرى فى حياته .

لوّح (قدرى) بيده ، قائلاً :

ـ كلا .. يبدو أنك لم تحسنى فهم الموقف .. الوجود الوحيد لـ (جيهان) ، فى حياة (أدهم صبرى) ، هو كونها زميلة فحسب ، تشاركه عملياته ومغامراته ، ولكنه لم ولن يحب سوى (منى) .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ومن أدراك ؟! .. الرجل قد يقضى عمره كله فى حب امرأة ما ، ما دامت أمام عينيه ، فإذا ما ابتعدت عنه لفترة من الوقت ، لا يلبث أن ينحّيها جانبًا ، ويقع فى غرام امرأة أخرى .

هتف فى انفعال :

ـ لا .. ليس (أدهم) .

عادت تهزّ كتفيها ، قائلة :

ـ كل الرجال سواء .

تسللت الحدة إلى صوته ، وهو يقول :

ـ لماذا فعل ما فعل من أجل (منى) إذن ؟! .. لماذا خاض الأهوال لاستعادتها ، لو أنه لا يحبها .

مطّت شفتيها ، قائلة .

ـ ومن يمكنها فهم الرجال ؟!

انعقد حاجباه فى غضب ، وقال فى صرامة :

ـ فليكن .. يبدو أنه ما من سبيل لإقناعك .. سنناقش هذا الأمر فيما بعد ، فقد وصلنا إلى حجرة (منى) .

أسرعت تعدّل من هندامها ، وترسم على شفتيها ابتسامة عذبة ، وهو يطرق الباب فى رفق ، قبل أن يسمع صوت (منى) الهادئ الرقيق ، وهى تقول من الداخل .

ـ ادخل .

سرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، وكأنه يخشى رؤيتها فى هذه الحالة ، ثم لم يلبث أن دفع الباب ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا (منى) .. كيف حالك ؟!

كانت تجلس على طرف فراشها ، وقد زادها المرض شحوبًا ونحولاً ، ولكنها ابتسمت عندما رأته ، وقالت :

ـ صباح الخير (يا قدرى) .. أنا فى خير حال والحمد لله .

وأطلّت من عينيها نظرة متسائلة ، وهى تنطق الجزء الأخير من عبارتها ، وتتطلّع إلى (هبة) ، التى منحتها ابتسامتها العذبة ، قائلة :

- صباح الخير يا آنسة (منى) .. إنه لمن دواعى سعادتى أن ألتقى بك .. لقد أخبرنى (قدرى) بالكثير عنك .

وأسرع (قدرى) يقدمها ، قائلاً :

- (هبة) .. خطيبتى .

تهللت أسارير (منى) ، وهى تهتف :

- حقًا ؟!

ثم مدت يدها تصافح (هبة) مستطردة بابتسامة كبيرة :

- من المؤكد أن (قدرى) غارق فى حبك ، وإلا لما نطق اسمك بهذه الطريقة .

رمقت (هبة) (قدرى) بنظرة جانبية ، قائلة :

- أنا أيضًا غارقة فى حبه .

ابتسمت (منى) ، قائلة :

- عظيم .. الحب هبة من الخالق (عزّ وجلّ) ؛ فالمحب لا يرى قط عيوب محبوبه .

انبعث من عند الباب صوت يقول :

- هل تؤمنين بهذا حقًا ؟!

التفت الجميع إلى مصدر الصوت ، وانعقد حاجبا (هبة) ، وهى تتطلع إلى شقراء فاتنة ، استطردت بلهجة تحمل شيئًا من العصبية :

- لماذا تتصرفين إذن وكأن العكس هو الصحيح ؟!

تطلعت (منى) إلى الشقراء فى صمت ، فى حين نهض (قدرى) ، قائلاً :

- أهلاً يا (جيهان) .. كيف حالك ؟.. أراهن أنك قادمة على التو من حجرة (أدهم) .. أليس كذلك ؟

انتبهت (هبة) جيدًا إلى نظرة الحزن العميقة ، التى أطلت من عينى (منى) ، عندما ألقى (قدرى) هذا السؤال على (جيهان) ، التى هزت رأسها نفيًا ، قائلة :

- كلا .. إنهم يمنعون زيارته ، أو حتى التواجد أمام حجرته .. أنا هنا لزيارة (منى) ، والاطمئنان عليها فحسب .

تمتمت (منى) فى خفوت :

- أهلاً يا (جيهان) .

جلست (جيهان) على طرف فراشها ، وربتت عليها ، قائلة فى تعاطف حقيقى :

- كيف حالك الآن ؟

أومأت (منى) برأسها ، مغمغمة :

- حمدًا لله .

قالتها ، وران على الحجرة صمت ثقيل ، وكأنما يثير قدوم (جيهان) شجون كثيرة فى نفوس الجميع ، ولم

يرق هذا للأخيرة ، فرسمت على شفتيها ابتسامة مفتعلة ، وهى تقول فى مرح مصطنع :

ـ هل تعلمين يا (منى) ؟ .. لقد قضيت نهار أمس كله ، فى مطالعة ملفك .

غمغمت (منى) فى خفوت :

ـ حقًا ؟!

هتفت (جيهان) فى حماس زائف :

ـ نعم .. إنه ملف رائع بحق .. نفس (منى) التى عرفتها فى الأكاديمية .. حزم وإصرار وإخلاص .. النموذج المثالى لفتاة المخابرات .

تمتمت (منى) :

ـ أشكرك .

ربتت (جيهان) عليها ثانية ، وهى تقول :

ـ هيا .. استردى عافيتك بسرعة ، حتى يمكنك العودة للعمل فى أقرب فرصة .. ليس من السهل أن تخسر المخابرات أساتذة مثلك .

لم يرق هذا القول لـ (هبة) ، فنقلت بصرها بين وجهيها فى ترقب ، ولم تغب عنها نظرة الحزن فى عينى (منى) ، وهى تقول :

ـ لست أظن هذا ممكنًا .. أشكرك لمجاملتك الرقيقة .

قالت (جيهان) فى حزم :

ـ إنها ليست مجاملة .

ثم أمسكت يد (منى) ، وتطلعت إلى عينيها مباشرة ، وهى تستطرد مخلصة :

ـ صدقينى يا (منى) .. إننى أتمنى عودتك إلى العمل حقًا .

نقل (قدرى) بصره بينهما بدوره ، ثم ضغط يد (هبة) فى رفق ، ونهض قائلاً :

ـ فليكن يا (منى) .. يسعدنا كثيرًا أن اطمأننا على حالتك ، ولكننا مضطرون للانصراف ، فأمامنا بعض العمل .

لم يرق هذا أيضًا لـ (هبة) ، فقالت معترضة ، وهما يبتعدان عن الحجرة فى خطوات سريعة :

ـ لماذا انصرفت بسرعة هكذا ؟! .. من الواضح أن لديهما الكثير لتقولاه .

أجابها فى حزم :

ـ هذا صحيح ؛ لذا كان من الضرورى أن نتركهما وحدهما .

سألته فى لهفة :

ـ هل تعتقد أن (جيهان) صادقة فى قولها : إنها ترغب فى عودة (منى) إلى العمل ؟!

أجابها فى ثقة حاسمة :

- بالتأكيد .. (جيهان) تدرك أن المعركة خاسرة ، وأن (أدهم) لن يحب سوى (منى) .

قالت (هبة) فى سرعة :

- ولكنها امرأة .. والمرأة لا تتنازل عمن تحب بسهولة ؛ حتى للمرأة التى يحبها .. إنها تعتبر أنها أحق به منها ؛ لأنها - فى رأيها - أكثر من يحبه فى العالم أجمع .

انعقد حاجباه فى ضيق ، وهو يقول :

- كفى يا (هبة) .. لست أحب مناقشة هذا الأمر .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى شاهد ممرضة تندفع خارج حجرة العناية المركزة فى انفعال ، فشحب وجهه ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! .. (أدهم) .

ثم أسرع إلى الممرضة ، يسألها فى هلع :

- ماذا حدث ؟! .. ماذا أصاب (أدهم) ؟!

التفتت إليه الممرضة ، هاتفة فى انفعال زائد :

- حدث تطور مهم .. مهم للغاية .

وهوى قلب (قدرى) بين قدميه ..

وبمنتهى العنف .

* * *

٢ - الشاهد الوحيد ..

لم تكن عقارب الساعة قد بلغت السابعة والنصف صباحًا بعد ، بتوقيت (طوكيو) ، عندما وصل المحامى (أوهارا) إلى مكتب (فالكو يوشيدا) ، ولم يكد يدلف إليه ، حتى قال بصوت يحمل توتر وانزعاج الدنيا كلها :

- ماذا حدث يا (يوشيدا) سان ؟! .. لقد انتزعنى رجالك من فراشى مبكرًا ، وألقوا بى فى سيارة ، انطلقت إلى هنا مباشرة ، دون أن يمنحونى حتى الفرصة لحلاقة ذقنى .. أى أمر عاجل هذا ، الذى استدعيتنى من أجله على هذا النحو ؟!

انعقد حاجبا (يوشيدا) ، وهو يجلس خلف مكتبه الضخم ، وقال فى شىء من العصبية ، وأصابعه تنقر على سطح المكتب :

- لقد قتلت الصحفى (موكيتا) .

قال (أوهارا) فى توتر ، وهو يلقى جسده على المقعد المقابل للمكتب :

- آه .. كنت أتوقَّع هذا .

ثم استطرد فى شىء من القلق :

- ولكنها ليست أول مرة تقتل فيها شخصًا بنفسك يا (يوشيدا) سان ، فما الذى استجدّ هذه المرة ؟! .. استدعاؤك لى على هذا النحو يؤكد أن الأمور لم تسر على ما يرام .. أليس كذلك ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (يوشيدا) ، قبل أن يجيب فى اقتضاب صارم :

- كان هناك شاهد .

اتسعت عينا (أوهارا) فى ارتياع ، وهو يقول :

- شاهد ؟! .. لاتقل لى : إنه أفلت منكم أيضًا يا (يوشيدا) سان .

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، وقال فى صرامة :

- (ميتسو) الغبى عجز عن اللحاق به ، حتى بلغ سفارته .

مال (أوهارا) بوجهه إلى الأمام ، وهو يهتف :

- سفارته ؟! .. أهو أحد موظفى سفارة دولة أجنبية ؟!

صمت (يوشيدا) لحظة ، وكأنه يعجز عن النطق من شدة الغضب والحنق ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية شديدة .

- بل هو سفير .

انتفض جسد (أوهارا) فى عنف ، وهبَّ واقفًا ، وهو يهتف فى انزعاج أقرب إلى الذعر :

- سفير ؟! .

والتقى حاجباه الكثَّان فى شدة ، وهو يدور فى المكتب فى توتر قائلاً :

- ولكن هذا أمر معقَّد بالفعل يا (يوشيدا) سان .. معقَّد للغاية .

زمجر (يوشيدا) فى غضب ، قبل أن يقول محتدًا :

- لهذا استدعيتك يا (أوهارا) .. أريدك أن تجد حلاً لهذه المشكلة .. لن يتم إلقاء القبض علىَّ أبدًا .. هل تفهم .

تطلَّع إليه (أوهارا) لحظة فى صمت ، قبل أن يتنهَّد ، قائلاً :

- سأبذل قصارى جهدى يا (يوشيدا) سان ، ولكن الأمر ليس هينًا هذه المرة .. ينبغى أن تدرك هذا .

قال (يوشيدا) فى صرامة :

- سأمنحك كل الصلاحيات اللازمة يا (أوهارا) .. أنفق كل ما تحتاج إليه واستعن بكل من يمكن أن يفيدك ، ولكن أخرجنى من هذا الموقف ، دون حتى أن تمس الصحافة اسمى .. هل تفهم ؟!

أومأ المحامى برأسه إيجابًا ، وهو يفكر فى عمق ، ثم سأله فى اهتمام :

- سفير أية دولة هو ؟!

أجابه (يوشيدا) :

- (مصر) .

ازداد انعقاد حاجبى المحامى فى شدة ، وهو يغمغم :

- آه .. هذا يزيد الأمر تعقيدًا .

وغرق فى التفكير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يضيف :

- ولكننى سأبذل قصارى جهدى يا (يوشيدا) سان .. سأبذل قصارى جهدى ، وسأخرجك من هذه الورطة .

وشد قامته ، مستطردًا فى حزم :

- هذا وعد .

نطقها وعيناه تحملان تعبيرًا عجيبًا ، جعله أشبه بوحش مفترس ..

أو بالشيطان .

شخصيًا ..

* * *

« (منى) .. هل تتصورين أننى لست صادقة فى حديثى معك ؟! .. » .

نطقت (جيهان) العبارة فى مرارة ، جعلت (منى) تهتف بسرعة :

- مطلقًا يا (جيهان) .

ولكن (جيهان) تابعت فى ألم ، يحوى شيئًا من العصبية :

- هل خطر ببالك أن جسدى لا يحوى قلبًا ينبض ، أو أننى أجهل مقدار الحب ، الذى يحمله لك (أدهم) فى قلبه ؟! .. كلاً يا (منى) .. لقد اعترفت لك أننى أحب (أدهم) ، وأننى لم ولن أحب سواه ، ولكن كرامتى وكبريائى يمنعانى من السعى خلف رجل ، لن يمنحنى من قلبه إلا موقع الصداقة على أفضل تقدير ، ما لم يكتف بالزمالة فحسب .

واغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تضيف :

- وهذا يكفينى .

سبقتها (منى) إلى سكب دموعها ، وهى تقول :

- أرجوك يا (جيهان) .. لا تتخلى عنى .. ما دمت تحبين (أدهم) ، فساعدينى على أن أنتزع نفسى من قلبه ، ليخلو مكانى لك .

هتفت (جيهان) :

ـ مستحيل !

أمسكت (منى) يدها فى قوة ، وهى تقول :

ـ أرجوك يا (جيهان) .. (أدهم) يستحق فاتنة مثلك ، وليس نصف امرأة مثلى .

صاحت (جيهان) ، ودموعها تغرق وجهها :

ـ من وجهة نظرك فحسب ، أما (أدهم) نفسه فسيظل يتعبّد فى محرابك حتى ولو أصبحت مجرد شبح امرأة .. إنه لا يحب جمالك أو فتنتك ، ولا يرغب فى الارتباط بك لقوتك وسلامة صحتك .. لقد تجاوز كل هذا وأحب أجمل ما فيك .

وارتجفت شفتاها ، وهى تستطرد :

ـ روحك .

بكت (منى) فى حرارة ، وهى تغمغم فى خفوت :

ـ ولكنه يستحق ما هو أفضل .

مسحت (جيهان) دموعها ، وهى تقول :

ـ دعى الاختيار له ..

ثم عضّت شفتيها فى ألم ، قبل أن تضيف بحزن جارف :

ـ عندما يعود إلى وعيه .

هتفت (منى) من أعمق أعماقها :

ـ يارب .

لم يكد الدعاء يتجاوز شفتيها ، حتى اندفع (قدرى) إلى الحجرة بجسده الضخم ، وهو يرتجّ فى قوة ، هاتفًا :

ـ (أدهم) .. (أدهم) ..

انتفض قلب (منى) بين ضلوعها فى هلع ، فى حين قفزت (جيهان) من مكانها ، صائحة :

ـ ماذا أصابه ؟

تفجّرت الدموع من عينيه غزيرة ، وهو يجيب :

ـ لقد استيقظ .. استعاد وعيه منذ قليل .

صرخت (جيهان) فى انفعال ، وهى تخفى وجهها بكفيها ، وهبّت (منى) من مجلسها ، هاتفة :

ـ (أدهم) .

وانطلقت دموعها كالسيل ، عندما عجزت عضلات ساقيها الضعيفتين عن حملها ، فاختل توازنها ، وسقطت أرضًا ..

وعندما أسرعت (جيهان) لتعاونها على النهوض ، تشبّثت بها فى قوة ، وهتفت من وسط دموعها الغزيرة :

ـ أريد أن أراه يا (جيهان) .. أرجوك .. احملونى إليه .. أريد أن أراه .

لم تكن كلماتها قد تجاوزت شفتيها عن آخرها ، عندما سمعت صوته يقول فى حنان جارف :

ـ وهل تصورت أننى سأنتظر قدومك يا عزيزتى .

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدّق فى وجهه الشاحب ، وهو يتقدّم إلى الحجرة ، ويتجه نحوها ، والحب كل الحب يطلّ من عينيه الدافئتين ، والممرضة تعدو خلفه ، هاتفة :

ـ هذا جنون .. جنون حقيقى .. ينبغى أن تنتظر حتى يفحصك الطبيب المختص .. ليس من حقك أن تنتزع الأسلاك وأنابيب التغذية من جسدك ، وتغادر حجرة العناية المركزة ، دون أن يسمح لك الطبيب بهذا .

ولكن (أدهم) تجاهلها تمامًا ، وهو يحتوى جسد (منى) الضئيل بين ذراعيه ، ويحملها إلى فراشها ، هامسًا بكل حب وحنان الدنيا :

ـ كم اشتقت إليك .

شعرت (جيهان) بغصّة فى حلقها ، وأحرقت دموع القهر عينيها ، فاندفعت تغادر الحجرة ، قائلة بصوت متحشرج مختنق :

ـ سأنتظركما فى الخارج .

ولكن (أدهم) تجاهلها تمامًا ، وهو يحتوى جسد (منى) الضئيل بين ذراعيه ، ويحملها إلى فراشها ..

ولم تكد تغادر الحجرة ، حتى ألقت جسدها على أبعد مقعد عنها ، وتركت العنان لدموعها الغزيرة ، وهى تتمتم فى مرارة ولوعة :

ـ كنت أعلم أنه لن يرى سواها .. إنه لم يشعر حتى بوجودى .. كنت أعلم .

أما (منى) ، فقد تطلّعت إلى وجهه فى لهفة وحب ، وهو يضعها فى فراشها ، ويجلس إلى جوارها ، وأصابعه الحانية تتحسّس وجهها الرقيق ..

وانعقد لسانها فى حلقها ، فلم تستطع حتى نطق اسمه ..

فقط مُلئت عيناها بوسامته ، وقلبها يخفق باسمه فى قوة ..

وهو أيضًا لم ينطق بحرف آخر ..

كانا يتطلّعان إلى بعضهما البعض فى هيام ، وكأن عيونهما تتبادل حديث حب جارف بلا حدود ..

ولم يستطع (قدرى) التحدث أيضًا ..

ولا مغادرة الحجرة ..

لقد ترك دموع انفعاله تنسكب على وجهه فى صمت ، وهو يتطلّع إليهما ، وقلبه أيضًا يخفق فى عنف ..

ثم اقتحم الطبيب المختص الحجرة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! .. ماذا فعلت يا سيّد (أدهم) ؟! .. ألا تعلم أنه من الخطر أن تغادر حجرة العناية المركزة على هذا النحو ؟!

التفت إليه (أدهم) مبتسمًا ، على الرغم من شحوب وجهه الشديد ، وقال :

ـ ألا تعلم أنت أنه من المستحيل ألا أهرع لرؤيتها ، فور استعادتى الوعى ؟!

ابتسم الطبيب ، وهو ينقل بصره بينهما ، ثم ربّت على كتفه مستطردًا :

ـ بالتأكيد .. هى أيضًا كانت تتابع أخبارك بلهفة طوال الوقت .

تطلّع (أدهم) إلى (منى) ثانية ، وهو يغمغم مبتسمًا :

ـ لن يدهشنى هذا .

ربّت الطبيب على كتفه ثانية ، وقال :

ـ والآن هل تسمح لى بفحصك ، حتى نطمئن إلى أن كل شىء على ما يرام ؟!

ابتسم (أدهم) قائلاً :

ـ ما دامت (منى) بخير ، فكل شىء على ما يرام بالفعل .

ابتسم الطبيب فى تأثر ، وقال :

- أنت أيضًا ينبغى أن تبذل بعض الجهد ، حتى تطمئن إلى أنك بخير حال يا رجل .. ألا ترغب فى العودة إلى مزاولة عملك الطبيعى ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وهو يملأ عينيه بوجه (منى) وابتسامتها الحانية ، ثم عاد يبتسم ، وهو يقول :

- بالتأكيد أيها الطبيب ، ولكن نظرًا لطبيعة عملى ، وحالتى الصحية الحالية ، أعتقد أنه سيمضى بعض الوقت ، قبل أن أعود إلى مزاولته .

خطأ يا (أدهم) ..

الظروف والملابسات الحالية قد تدفعك للعودة إلى عملك أسرع مما تتوقع ..

أسرع بكثير ..

* * *

تحرك السفير المصرى فى (طوكيو) ، داخل حجرة مكتبه الواسعة ، فى توتر شديد ، وراح يلوّح بذراعه ، وهو يقول لقائد أمن السفارة :

- ما الذى تقوله يارجل ؟! .. لا يمكننى كتمان شهادتى بالطبع .. إنها ليست مخالفة مرور بسيطة .. لقد شاهدت جريمة قتل وحشية .. هل تفهم ؟! .. جريمة قتل .

أومأ قائد أمن السفارة برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

- لا أحد يجرؤ على مطالبتك بكتمان شهادتك يا سيدى السفير ، فهذا إثم لا يحتمل أحد ارتكابه(*) ، ولكننى .. أرجوك ألا تتعجل فى اتخاذ أية خطوة كانت .. دعنا نبرق إلى (القاهرة) أولاً ، ونعرض عليهم الأمر كله ، ثم نطلب مشورتهم .

ثم اعتدل ، وشد قامته ، وأضاف فى حزم :

- وحتى ذلك الحين ، أرجو ألا تغادر مبنى السفارة قط يا سيدى السفير .

انعقد حاجبا السفير ، وهو يقول فى غضب :

- ماذا ؟! .. هل جننت يا رجل ؟! .. أنا سفير بلادى هنا ، ووظيفتى ومسئولياتى تضطرنى للخروج أكثر من مرة .

قال قائد الأمن فى حزم :

- يمكننا أن نعلن رسميًا أنك مريض وملازم الفراش يا سيدى ، وفى هذه الحالة .

قاطعه السفير فى صرامة :

(*) القرآن الكريم ، الآية (٢٨٣) من سورة البقرة : بسم الله الرحمن الرحيم « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه » صدق الله العظيم .

- مستحيل ! .. لن أختفى هنا كالجبناء .. هل نسيت أننى كنت قائدًا لقوات الصاعقة المصرية فى السابق ؟! .. لا يا رجل .. لا يمكننى أن أفعل هذا .

أجابه قائد الأمن محاولاً إقناعه :

- سيدى السفير .. أنت تعلم أن (فاكو يوشيدا) من أقوى رجال المجتمع والصناعة فى (اليابان) كلها ، وتربطه صلات وثيقة بعدد من المسئولين اليابانيين والأمريكيين ، مع إشاعات حول علاقاته بعدد من رجال العصابات وتجار الهيروين والأفيون ، ولو أنك الشاهد الوحيد على ارتكابه جريمة قتل ، فسيبذل قصارى جهده لمنعك من الإدلاء بشهادتك هذه .

قال السفير فى صرامة وعناد :

- دعه يحاول .

فقد قائد الأمن صبره ، وهو يقول :

- لا يمكننى أن أدعه ، فمهمتى هى أن أوفر لك ولرجال السفارة الحماية والأمن اللازمين ، والقانون يمنحنى الحق فى اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لضمان هذا .

قال السفير فى حدة :

- هل ستمنعنى من الخروج بالقوة ؟

شد قائد الأمن قامته ، وهو يجيب فى صرامة :

- لو اضطرتنى لهذا .

احتقن وجه السفير ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أنه دلف إلى الحجرة مدير مكتبه فى هذه اللحظة ، وقال فى اهتمام :

- معذرة يا سيدى السفير .. هناك محام يابانى يطلب مقابلتك شخصيًا فى إلحاح .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى توتر ، فى حين غمغم السفير فى حيرة :

- محام يابانى ؟!

أومأ مدير مكتبه برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا سيدى السفير .. السيّد (أوهارا) ، محامى رجل الصناعة الكبير (فاكو يوشيدا) .

لم يكد الرجل ينطق الاسم ، حتى خيّل إليه أنه قد ألقى قنبلة فى الحجرة ، فقد انتفض جسد السفير فى عنف ، وهتف قائد الأمن فى حدة :

- (يوشيدا) ؟!

تراجع الرجل فى انزعاج ، قائلاً :

- هل أصرفه يا سيدى السفير ؟!

قبل أن ينطق السفير بالجواب ، اندفع قائد الأمن يقول :

ـ بل دعه يدخل .

انعقد حاجبا السفير فى غضب ، وانتظر حتى انصرف مدير مكتبه ، ثم قال فى عصبية :

ـ هل تحتم عليك الظروف اتخاذ قراراتى بدلاً منى أيضًا ؟

أجابه قائد الأمن بسرعة :

ـ معذرة يا سيِّدى السفير ، ولكن من الضرورى أن نعرف سبب قدوم هذا المحامى لمقابلتك .. لقد أرسله (يوشيدا) لسبب ما .. فليكشف أوراقه أولاً ، ثم اطرده لو عنّ لك هذا .

كانت إجابته منطقية للغاية ، حتى إن السفير لم يناقشه ، وإنما أشار إليه ، قائلاً فى حزم :

ـ اختبئ فى الحجرة المجاورة ، حتى يتحدث بحرية ، وستسمع حديثنا كله عبر جهاز الاتصال الداخلى .. سأتركه مفتوحًا .

أسرع قائد الأمن إلى الحجرة المجاورة ، ولم يكد يختفى داخلها ، حتى دق باب حجرة السفير ، فأسرع هذا الأخير يضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول باليابانية :

ـ ادخل يا (أوهارا) سان .

دلف المحامى إلى الحجرة ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة لزجة ، وقال فى احترام مبالغ :

ـ صباح الخير يا سعادة السفير .. أرجو من كل قلبى ألا أكون قد سببت لك شيئًا من الإزعاج بزيارتى المباغتة ، و ...

قاطعه السفير فى حزم :

ـ لماذا أرسلك السيِّد (يوشيدا) ؟!

ارتسمت على شفتى المحامى ابتسامة خبيثة ، وهو يقول .

ـ أنا لم أقل : إن (يوشيدا) سان قد أرسلنى إلى هنا يا سعادة السفير .. كل ما قلته هو أننى محاميه الخاص .

قال السفير فى ضيق :

ـ هل تعنى أنها مبادرة فردية ؟

أجابه فى خبث :

ـ فليكن .. يمكنك اعتبارها كذلك .

انعقد حاجبا السفير ، وتراجع فى مقعده ، قائلاً فى صرامة :

ـ وما الذى تستهدفه مبادرتك الفردية يا سيِّد (أوهارا) ؟!

أجابه المحامى فى سرعة :

- أحد عملائى أبلغنى أنك رأيت شيئاً يخصه ، وأن هذا لم يرق له ، لذا فهو مستعد لدفع أى ثمن تطلبه ، فى مقابل نسيانك لما رأيته ، والاحتفاظ به فى أعماقك .

ازداد انعقاد حاجبى السفير ، فمال المحامى نحوه ، وتابع فى لهجة خاصة :

- ولنبدأ بمليون دولار مثلاً .

قال السفير فى غضب :

- أهذا هو الثمن ، الذى حدده (يوشيدا) ؟!

أجابه المحامى فى خبث :

- ومن ذكر اسم (يوشيدا) سان ؟! .. قلت لك : إنها مبادرة فردية يا سعادة السفير ، ولكن من الواضح أن المبلغ لم يرضك .. دعنا نرفعه إلى ..

هبَّ السفير من مقعده ، وهو يقول فى غضب :

- اخرج .

رفع المحامى عينيه إليه فى هدوء ، قائلاً :

- إنك لم تسمع الرقم بعد .

صاح السفير فى غضب هادر :

- اخرج ، قبل أن أطلب من رجال الأمن طردك من السفارة .

أومأ المحامى برأسه فى هدوء ، وقال :

- فليكن يا سعادة السفير .. سأخرج ، ولكن فكّر فى عرضنا ، و ..

قاطعه السفير فى صرامة غاضبة :

- العرض مرفوض ، وأبلغ (يوشيدا) أنه ما من قوة فى الأرض يمكنها منعى من الإدلاء بشهادتى وإدانته ، وإن أسعد لحظة فى حياتى هى عندما أراه خلف القضبان .. هل تفهم ؟

تطلّع إليه المحامى بنظرة باردة ، قبل أن يقول فى بطء :

- فليكن يا سعادة السفير .. إنك لم تترك لنا بديلاً .

سأله السفير فى حدة :

- ماذا تعنى بقولك هذا يا رجل ؟ .. ماذا تعنى ؟!

ارتسمت على شفتى المحامى ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

- لا شىء يا سعادة السفير .. لا شىء .

ولكن الطريقة التى نطقها بها كانت توحى بأن الأيام القادمة ستكون قاسية وعنيفة ، ورهيبة .. وبشدة .

* * *

٢ – حماية ..

« إذن فقد رفض الفكرة ... » .

نطق (يوشيدا) العبارة فى صرامة غاضبة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجلس خلف مكتبه الضخم ، متطلعًا إلى (أوهارا) ، الذى أشار بيده ، وهو يحل رباط عنقه قليلا ، وقال فى اهتمام شديد :

– رفضها تمامًا يا (يوشيدا) سان .. بل رفض حتى مبدأ المناقشة من أساسه ، وطردنى من مكتبه شر طردة .

قال (يوشيدا) فى حدة :

– إنها إهانة .

لوّح (أوهارا) بيده ، على نحو يعلن أن هذا لا يقلقه كثيرًا ، قبل أن يقول :

– المشكلة أن منصبه يحيطه بحصانة خاصة ، وموقعه يجعله محاطًا برجال ووسائل الأمن طوال الوقت ، مما يجعل الوصول إليه عسيرًا .

التقى حاجبا (يوشيدا) أكثر ، وهو يقول :

– هل تفكّر فيما أفكّر فيه يا (أوهارا) ؟

هزّ المحامى كتفيه ، قائلاً :

– إنه لم يترك لنا حلاً بديلاً .

مطّ (يوشيدًا) شفتيه ، ونهض من خلف مكتبه ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يدور فى حجرته الواسعة فى صمت ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (أوهارا) ، قائلاً :

– قل لى يا رجل : لماذا لم يبلغ السفير الشرطة بما رآه ، حتى هذه اللحظة .

ابتسم المحامى ، قائلاً :

– إن جثة (موكيتا) لم تبرد بعد يا (يوشيدا) سان ، والرجل يحتل منصبًا دبلوماسيًا شديد الحساسية ، ولابد له من استشارة رؤسائه فى (القاهرة) ، قبل أن يخوض فى الأمر رسميًا .

سأله (يوشيدا) فى اهتمام :

– وهل تعتقد أن رؤساءه سيوافقون على إدلائه بشهادته فى هذا الأمر ؟!

أجابه المحامى على الفور :

– بالتأكيد .. المصريون قوم شرفاء ، ومعتقداتهم الدينية تمنعهم من كتمان الشهادة .

قال (يوشيدا) فى عصبية :

ـ وما أدراك أنت بمعتقداتهم الدينية ؟!
هزّ (أوهارا) كتفيه ، وهو يجيب فى خبث :
ـ أنسيت أننى محام دولى ، ولا بد لى من معرفة الكثير عن عادات وتقاليد ومعتقدات الشعوب ؟!
أومأ (يوشيدا) برأسه متفهمًا ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، مغمغمًا :
ـ إذن فلا مفرّ من المواجهة .
ثم استطرد فى غضب :
ـ لست أدرى ما الذى أتى بذلك السفير فى مكان كهذا ، قبل مشرق الشمس ؟!
أجابه (أوهارا) بسرعة ، وكأنه ينتظر السؤال :
ـ إنه يذهب إلى هناك يوميًا ، ليتدرب على بعض الرياضيات العنيفة ، التى يزاولها منذ شبابه ، حتى لا يفقد لياقته .
قال (يوشيدا) فى حدة :
ـ من سوء حظنا .
أشار إليه المحامى ، قائلاً :
ـ رويدك يا (يوشيدا) سان ..الأمور لم تفلت من أيدينا بعد .
هتف (يوشيدا) فى عصبية :

ـ كيف ؟! .. أنت قلتها بنفسك .. الرجل يحتل منصبًا شديد الحساسية ، ولن يكون الظفر به سهلاً ، فهو محاط برجال ونظم الأمن ، وسيضاعفون حراسته فى هذه المرحلة بالتأكيد ، وربما يمنعونه من مغادرة السفارة ، حتى يدلى بشهادته ، التى ستدمّر كيانى ومستقبلى تمامًا .
ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، مستطردًا فى غضب :
ـ ولن أسمح بهذا .. لن أسمح بهذا أبدًا يا (أوهارا) .. هل تفهم ؟!
أشار إليه المحامى ثانية ، فى محاولة لتهدئته ، وهو يقول :
ـ بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .. أنا أيضًا لن أسمح بأن يمسّك هذا بسوء ، وصدقنى .. على الرغم من كل ما تقوله ، فالأمور لم تفلت من أيدينا بعد بالفعل .
وانهمك لثوان فى إشعال سيجار ضخم ، نفث دخانه فى عمق ، قبل أن يتابع :
ـ عندما غادرت مكتبك فى الصباح ، كان أول ما فعلته هو أن أرسلت ثلاثة من رجالى ، للتخلص من جثة

(موكيتا) ، وإخفاء آثار ما حدث فى المنطقة الصناعية ، وبغياب الجثة يتحول الأمر من التحقيق فى جريمة قتل ، إلى محاولة إثبات وقوع جريمة قتل ، وهذا يمنحنا الكثير من الوقت ، قبل أن تتعقد الأمور .

سأله (يوشيدا) :

ـ وماذا عن اختفاء (موكيتا) ؟!

ابتسم المحامى فى دهاء ، قائلاً :

ـ حتى هذا يمكن تدبيره يا (يوشيدا) سان .. تذاكر طيران باسمه .. بضائع تشترى ببطاقة ائتمانه فى أماكن متتابعة ، أو حتى فى دولة أخرى .. حجز فى فندق ما .. شهادة شهود .. أمور كثيرة يمكن أن تربك رجال الشرطة ، وتجعلهم يشكون فى مقتل (موكيتا) لفترة من الوقت ، يمكننا لو أحسنا اللعبة أن نمدها لثلاثة أشهر كاملة ، وهذا أكثر مما نحتاج إليه لتدبير الأمر كله .

ثم التقط نفسًا من سيجاره ، ونفثه فى الهواء ، مضيفًا فى حزم :

ـ اطمئن يا (يوشيدا) سان .. لقد وعدتك بإنهاء الموقف .. و (أوهارا) يفى بوعوده دائمًا .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يكمل :

ـ مهما كان الثمن .

ومرة أخرى ، برقت عيناه فى شدة وشراسة ..

★ ★ ★

أدى طاقم أمن مبنى المخابرات العامة المصرية التحية العسكرية فى احترام ، لوزير الخارجية المصرى ، وهو يعبر البوابة بسيارته الكبيرة ، التى عبرت الساحة ، ثم انحرفت يسارًا ، وتوقفت أمام المبنى ، فهبط منها الوزير ، واستقبله مدير المخابرات شخصيًا ، وهو يصافحه فى حرارة ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيادة الوزير .. تفضل .. إننى أنتظرك منذ تلقيت اتصالك الهاتفى .

اتجها معًا إلى المصعد ، والوزير يقول :

ـ الواقع أنه أمر جديد ، بالنسبة لحياتنا الدبلوماسية ، وهو يحتاج إلى استشارة أمنية على أعلى مستوى ، وهذا ما دفعنى للقدوم إليكم .

قال مدير المخابرات فى اهتمام :

ـ نحن رهن إشارتك ، ما دام الأمر يتعلق بأمن وسلامة الوطن .

انتظر وزير الخارجية ، حتى ضمهما مكتب مدير المخابرات ، قبل أن يطرح المشكلة كاملة ..

وفى اهتمام شديد ، ودون أن يقاطعه بحرف واحد ، استمع إليه مدير المخابرات حتى النهاية ، قبل أن يقول :

- ولقد أبلغتم السفير بموافقتكم على إدلائه بشهادته .. أليس كذلك ؟

هزّ الوزير رأسه نفيًا ، وتنهّد ، قائلاً :

- ليس بعد ، فالأمر شديد الحساسية بالفعل ، ولابد من دراسة موقف السفير ، وقدرتنا على حمايته أولاً ، قبل أن نسمح له بهذا .

قال المدير فى اهتمام :

- معلوماتى تقول : إن السفير يمكن الإدلاء بشهادته فى مبنى السفارة .. أليس كذلك ؟

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى ، ولكن الرجل الذى سيدلى بشهادته ضده هو (فاكو يوشيدا) ، إمبراطور صناعة الإليكترونيات شخصيًا ، وحتى لو تركه (يوشيدا) يدلى بشهادته ، فى تحقيقات الشرطة ، فلن يسمح له بتأكيدها عند المحاكمة ، ومن المؤكد أنه سيبذل قصارى جهده للتخلص منه بين المرحلتين ، ما لم ينجح فى القضاء عليه قبل هذا .

سأله مدير المخابرات :

- وماذا عن طاقم الأمن فى السفارة ؟

أجابه الوزير :

- إنهم يقومون بواجبهم خير قيام ، فقد ضاعفوا الحراسة ، وكثّفوا وسائل الأمن ، وقاموا بدوريات إضافية ، ويراقبون كل شبر من مبنى السفارة وأسوارها ، وحتى الطرق المحيطة بها ، بآلات المراقبة التليفزيونية ، كما أصدروا بيانًا رسميًا بأن السفير مريض وملازم للفراش ، واعتذروا عن كل المقابلات ، مع تأجيل زياراته حتى يشفى من مرضه .. ولكن الأمر لن يستمر على هذا النحو إلى الأبد ، إن عاجلاً أو آجلاً ، سيضطر السفير للخروج من السفارة ، وللقيام بواجبات منصبه ، والمعلومات التى لدينا عن (فاكو يوشيدا) ، تقول : إنه قادر على القضاء عليه فور خروجه .

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى اهتمام ، وهو يقول :

- ولا يمكن إعادته إلى (مصر) أيضًا .. أليس كذلك ؟!

أجابه الوزير :

- هذا أحد الحلول ، التى طُرحَتْ للبحث ، والتى انتهينا فيها إلى أن بقاءه فى السفارة أكثر أمنًا فى الوقت الحالى .

تراجع مدير المخابرات فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وصمت بضع لحظات ، وهو يتطلع إلى الوزير ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- سيّدى الوزير ، هل تطلب منا حماية السفير ؟!

ابتسم الوزير ، قائلاً :

- لماذا تظننى أتيت إذن ؟

أومأ مدير المخابرات برأسه متفهمًا ، ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافذته ، ووقف يتطلّع عبرها بضع لحظات ، وكأنما يعيد دراسة الأمر كله ، ثم لم يلبث أن التفت إلى الوزير ، ومدّ يده إليه ، قائلاً فى حزم :

- اتفقنا يا سيادة الوزير .. اعتبر أننا قد تولينا الأمر ، منذ هذه اللحظة .

تنهّد الوزير فى ارتياح ، وهو يصافحه ، قائلاً :

- صدقنى أيها المدير .. الآن فقط أشعر بالارتياح .. أشكرك .. أشكرك كثيرًا .

رافقه مدير المخابرات حتى بوابة المبنى ، وتطلّع فى صمت إلى سيارته ، وهى تنطلق مبتعدة ، ثم التفت إلى مساعده ، وقال فى حزم :

- أريد ملف (فالكو بوشيدا) على مكتبى فورًا .

كان قوله هذا يعنى أن اللعبة قد انتقلت إلى ملعب جديد ..

إلى المخابرات العامة ..

المصرية ..

* * *

« رويدك يا (ن ـ ١) .. العالم لن ينتهى غدًا » .

نطق المدرّب هذه العبارة ، ووجهه يحمل ابتسامة كبيرة ، وهو يتجه نحو (أدهم) ، الذى توقف عن تدريباته الرياضية ، وجفّف عرقه الغزير ، قائلاً :

- إننى أحاول استعادة لياقتى بسرعة .

ضحك المدرّب ، قائلاً :

- بل تحاول استعادتها فى يوم واحد .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو ينهض قائلاً :

- من يدرى ما الذى يأتى به الغد ؟! .. ثم إننى أبغض البقاء بدون عمل .

قالها ، واتجه إلى ساحة الرماية ، والتقط مسدسه ، والمدرّب يتبعه ، قائلاً :

- أنت خير من يعلم أن طبيعة عملك تحتاج إلى لياقة تامة ، والتدريبات العنيفة المتواصلة لن تمنحك هذه اللياقة ، ولن تسمح لك باستعادتها بسرعة ، ما لم تحصل على فترات من الراحة بين التدريبات ، خاصة وأنك غادرت المستشفى أمس فحسب .

تمتم (أدهم) :

- أعلم هذا .

وضغط على أحد الأزرار ، فانطلقت أهداف هيكلية مختلفة ، من عدة أماكن فى الساحة ، وتطايرت فى كل مكان ..

وانطلقت رصاصات (أدهم) ..

وارتفع حاجبا المدرِّب لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن انخفضا ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك لم تفقد ذرة واحدة من مهارتك ، فى هذا المضمار .. لقد أصبت أهدافك كلها بمنتهى الدقة .

أعاد (أدهم) المسدس إلى موضعه ، مغمغمًا :

ـ لم يكن هذا عسيرًا .

ضحك المدرِّب ، قائلاً :

ـ بالنسبة لك فحسب .

التفت إليه (أدهم) ، واتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يقول :

ـ ما رأيك بمباراة (تايكوندو) سريعة ؟

هزَّ المدرِّب رأسه نفيًا ، وقال :

ليس الآن ، فلم أحضر لمراقبتك ، وأنت تمارس تدريبات استعادة اللياقة بهذا العنف ، وإنما أتيت لأخبرك أن المدير يريدك شخصيًا .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ يريدنى أنا ؟!

ألقى السؤال ، دون أن ينتظر جوابًا من المدرِّب ، وإنما أسرع يرتدى ثيابه ، ثم ينطلق إلى مكتب مدير المخابرات ، الذى استقبله قائلاً :

حمدًا لله على سلامتك يا (ن ـ ١) .. اجلس .. هناك أمر أرغب فى مناقشته معك .

سأله (أدهم) فى اهتمام ، وهو يتخذ مجلسه .

ـ أى أمر هذا يا سيدى ؟

شرح له المدير الأمر كله ، قبل أن يضيف :

ـ وأنا أعلم أن هذا السفير بالذات يهمك شخصيًا ، فهو اللواء سابقًا (مدحت عبد المنعم) ، قائدك فى فرق الصاعقة ، إبان حرب أكتوبر(*) .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ رباه ! .. اللواء (مدحت) ؟!

أجابه مدير المخابرات :

ـ نعم يا (ن ـ ١) ، ولهذا استدعيتك .

قال (أدهم) فى حزم وحماس :

ـ سيدى .. أنت تعلم أننى مستعد للتضحية بحياتى ، فى سبيل سيادة اللواء (مدحت عبد المنعم) .. لقد كان

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) .. المغامرة رقم (٣١) .

قائدى فى السابق ، وأنا أدين له بالفضل ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) ، ووالدى (رحمه اللّه) ، فيما وصلت إليه .

تنهّد المدير فى عمق ، وتطلّع إليه لحظات فى صمت ، قبل أن يميل إلى الأمام ، قائلاً :

ـ يبدو أنك قد أسأت تفسير الموقف يا (ن ـ ١) .. أنا أعلم أن حالتك الصحية لا تسمح لك بمواجهة خطر عنيف كهذا ، فى الوقت الحالى ، لذا فكل ما أطلبه منك ، كرئيس لفرع العمليات الخاصة ، أن ترشح رجلين للسفر إلى (طوكيو) ، والقيام بمهمة حماية السفير .

وكانت صدمة لـ (أدهم) ..

صدمة حقيقية ..

وقاسية ..

* * *

ارتجف صوت (فوجى ياما) ، رئيس شرطة (طوكيو) ، فى اضطراب واضح ، وهو يتحدث إلى (يوشيدا) عبر الهاتف ، قائلاً :

ـ السفير تقدّم ببلاغ حول الواقعة بالفعل يا (يوشيدا) سان ، ولا يمكننى إخفاء الأمر أو إغفاله ، فالمشكلة أنه لم يتقدّم به إلى الشرطة مباشرة ، وإنما قدّمه إلى

وزارة الخارجية ، التى حوّلته إلينا مع توصية بضرورة إجراء تحقيق سرى وعاجل ، والبحث عن الصحفى (موكيتا) ، قبل إعلان الأمر رسميًا .

انعقد حاجبا (يوشيدا) فى توتر غاضب ، وهو يقول :

ـ وماذا سنفعل يا (فوجى) ؟

أجابه رئيس الشرطة بسرعة :

ـ كل ما أمكننى فعله هو أننى أسندت المهمة إلى المفتش (ياما موتو) .. أسوأ المفتشين فى إدارة جرائم القتل والاختفاء ، وكل أملى أن يؤدى هذا إلى بطء الإجراءات ، وارتباكها ، وضياع بعض الوقت .

قال (يوشيدا) فى صرامة :

ـ ثم ؟!

أجابه (فوجى) ، وهو يجفف عرقه فى توتر بالغ :

ـ ثم تعقد الأمور أكثر وأكثر .

ثم استطرد فى عصبية :

ـ فيم سكوتكم باللّه عليك يا (يوشيدا) سان .. أسرعوا بالتخلص من هذا الرجل ، قبل أن يستفحل الأمر ، ونعجز عن السيطرة عليه .

التقى حاجبا (يوشيدا) أكثر وأكثر ، حتى كادا يمتزجان ببعضهما البعض ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :
ـ أريد قتل ذلك السفير ..

ـ سنفعل يا (فوجى) .. سنفعل .

وأنهى المحادثة مع رئيس الشرطة ، وضم قبضتيه أمامه ، على سطح مكتبه الضخم ، وهو يفكر فى عمق ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص إلى جواره ، وقال :

ـ (ميتسو) .. تعال إلى مكتبى فوراً .

لم تمض ثوان ، حتى دلف (ميتسو) إلى حجرته بقامته النحيلة ، وانحنى فى احترام بالغ ، قائلاً :

ـ أوامرك يا (يوشيدا) سان .

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

ـ أعتقد أن دورك قد حان يا (ميتسو) .

تألقت عينا الشاب ، وهو يقول فى حماس :

ـ أنا رهن إشارتك يا (يوشيدا) سان ، وأتضرع إلى آلهة آبائى وأجدادى أن توفقنى لخدمتك بروحى ودمى .

ضرب (يوشيدا) سطح مكتبه بقبضته ، قائلاً :

ـ أريد قتل ذلك السفير .

وقبل أن يهتف (ميتسو) بالإيجاب والطاعة ، ارتفع صوت (أوهارا) من عند الباب ، وهو يقول :

ـ إنه لا يصلح للقيام بهذا يا (يوشيدا) سان ، مع خالص الاحترام .

التفت إليه (ميتسو) فى غضب ، وهو يقول :

ـ أنا مستعد للتضحية بحياتى من أجل سيّدى .

لوّح (أوهارا) بكفه فى لامبالاة ، وهو يتجاوز (ميتسو) ، ويتجه إلى (يوشيدا) ، قائلاً :

ـ ادخر حماسك لوقت تفيد فيه السخافات العاطفية يا فتى .. إننا نحتاج إلى إجراء جاد .

احتقن وجه (ميتسو) فى شدة ، وقال (يوشيدا) فى غضب :

ـ انتبه لما تتفوّه به يا (أوهارا) .

التقط (أوهارا) سيجارًا فاخرًا ، من العلبة الذهبية أمام (يوشيدا) ، وأشعله بالقدّاحة الماسية ، قائلاً :

ـ معذرة يا (يوشيدا) سان ، ولكن المجاملات لا تفيد فى وقتنا هذا ، وأية خطوة غير مدروسة قد تفسد الأمر كله .

هتف (يوشيدا) فى غضب :

ـ (أوهارا) ؟!

نفث المحامى دخان سيجاره ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا (يوشيدا) سان .. اترك لى إدارة الأمور فى هذه الأزمة .. الأمر معقّد للغاية بحق .

التقى حاجبا (يوشيدا) فى شدة ، واحتقن وجهه قليلاً ، ثم لم يلبث أن أشار إلى (ميتسو) ، قائلاً فى خشونة عصبية :

ـ اتركنا وحدنا .

انعقد حاجبا (ميتسو) ، وكأنما لم يرق له هذا ، ولكنه انحنى فى احترام ، قائلاً :

ـ أوامرك يا (يوشيدا) سان .

ورمق المحامى بنظرة مقت ، قبل أن يغادر الحجرة ، ويغلق بابها خلفه فى إحكام ..

وهنا التفت (يوشيدا) إلى (أوهارا) ، وقال فى حدة :

ـ إياك أن تفعل هذا مرة أخرى .. فى المرة القادمة اطرق الباب قبل دخولك ، وإلا ألقيت بك من النافذة .

ارتفع حاجبا المحامى ، وهو يقول بدهشة مصطنعة :

ـ من الطابق الثلاثين ؟! .. لا يا (يوشيدا) سان .. لست أظننى أحتمل هذا .

واصل (يوشيدا) فى غضب :

ـ أما سكرتيرى اللعين ، الذى سمح لك بالدخول ، فسأحطم عنقه ، وأبقر بطنه ، و ..

قاطعه المحامى ، وهو يكتم ضحكته :

ـ رويدك يا (يوشيدا) سان .. السكرتير المسكين لم يرتكب أية أخطاء .. أنت طلبت منه السماح لى بالدخول وقتما أشاء ، منذ بدأت تلك المشكلة .

مطّ (يوشيدا) شفتيه ، دون أن يُعلّق ، ثم قال فى حدة :

- لماذا منعت (ميتسو) من قتل السفير ؟

نفث (أوهارا) دخان السيجار فى عمق ، قبل أن يجيب :

- لأنه لا يصلح للقيام بهذه المهمة بحق .

قال (يوشيدا) فى عصبية :

- (ميتسو) مقاتل فوق العادة .. لا تجعل نحوله يخدعك .. إنه متين البنيان ، ويجيد كل رياضات القتال الحر ، ومبارزة السيوف ، والـ ...

قاطعه (أوهارا) :

- هذا لا يكفى .

احتقن وجه (يوشيدا) ، لهذه المقاطعة الجافة ، وقال فى حدة :

- هل تعتقد هذا ؟!

نفث (أوهارا) دخان سيجاره مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- المشكلة ليست مشكلة مهارات قتالية فحسب يا (يوشيدا) سان .. المهم أن تصل إلى الرجل أولاً ، متجاوزًا كل رجال ووسائل الأمن ، فى السفارة المصرية ، و (ميتسو) مجرد حارس خاص ، يجيد إبعاد الصحفيين ، والتصدى للفضوليين ، والدفاع عن سيده بإخلاص

الكلاب الوفية ، ولكنه لا يصلح للقيام بدور الثعالب ، أو التسلل تحت جنح الظلام كالذئاب .

تراجع (يوشيدا) فى مقعده ، وهو يقول فى عصبية :

- هل سنلغى فكرة القتل إذن :

هزّ (أوهارا) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- مطلقًا .

ثم نفث دخان سيجاره ثانية ، قبل أن يستطرد :

- ولكننا سنعهد بالمهمة للمختصين .

التقى حاجبا (يوشيدا) فى توتر ، وهو يميل نحوه ، ويحدق فى عينيه مباشرة ، قبل أن يسأله فى لهجة يغلب عليها الانفعال :

- (الياكوزا)(*) ؟!

ابتسم المحامى ، ونفخ طرف سيجاره المشتعل ، وهو يقول :

- ليس لدى أدنى شك فى قوة (الياكوزا) وانتشارها ، ولكن المهمة التى نحن بصددها تتجاوز طبيعة عملهم الذى ينحصر فى تجارة المخدرات ، ونوادى القمار والأعمال الإجرامية المشبوهة ، والألعاب القذرة التقليدية .

(*) الياكوزا : المافيا اليابانية .

وملأ صدره بالهواء ، قبل أن يضيف :

ـ إننا نحتاج لفريق له طبيعة خاصة ، قادرة على تجاوز كل العقبات ، والقيام بعملية اغتيال سياسي متقنة ، دون أدنى احتمال للفشل .

ثم رمق (يوشيدا) بنظرة جانبية ، مستطردًا في خبث :

ـ مقابل مبلغ مناسب بالطبع .

أجابه (يوشيدا) في صرامة :

ـ قلت لك : إن الثمن لا يعنيني كثيرًا .

ومال نحوه ، يسأله في اهتمام :

ـ ولكن أي فريق هذا ؟!

ارتسمت على شفتي المحامي ابتسامة كبيرة ، تفيض خبثًا ودهاءً وغموضًا ، وهو ينفث دخان السيجار في بطء ، ويراقب حلقات الدخان المتصاعدة في صمت ، قبلْ أن يقول في بطء :

ـ لست أظنك قد سمعت به من قبل يا (يوشيدا) سان .

تراجع (يوشيدا) ، عاقدًا حاجبيه في حزم ، وهو يقول :

ـ من تظنني يا (أوهارا) ؟! .. من الواضح أنك تتجاوز كل الحدود حقًا هذه المرة .. أنسيت أنني (فاكو يوشيدا) ، إمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة ، في (طوكيو) والعالم أجمع ؟! .. ألا تعلم أن صلاتي واتصالاتي السياسية والعملية ، تضعني على قمة المجتمع هنا ، وإن اسمي وحده يكفي لـ ..

قاطعه (أوهارا) بإشارة من يده ، وهو يقول في احترام بالغ :

ـ معذرة .. ألف معذرة يا (يوشيدا) سان .. ليس هذا ما قصدته أبدًا .. كل ما أردت هو أن رجلاً محترمًا مثلك لا يمكن أن يهبط باتصالاته إلى هذا الحد .. إنه مهمة لأمثالنا .

سأله (يوشيدا) في صرامة :

ـ ربما ، ولكنني أحب أن أعرف من سأتعامل معهم على الأقل .

تنهَّد (أوهارا) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا (يوشيدا) سان .. بالتأكيد .

ثم نهض من خلف مقعده ، وتحرك في الحجْرة قليلاً ، وعينا (يوشيدا) تتابعانه في ترقب متوتر ، حتى التفت إليه ، وقال بلهجة من حسم أمره :

- هل سمعت عن (النينجا) يا (يوشيدا) سان ؟!

أجابه (يوشيدا) فى صرامة :

- ومن لم يسمع عن (النينجا) يا هذا ؟! .. أليسوا أولئك المقاتلين ، الذين أضفت عليهم السينما قدرات خرافية ؟!

أومأ (أوهارا) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط يا (يوشيدا) سان ، ولكن واقعهم يختلف عما ظهروا به على شاشة السينما ، فلقد نشأت (النينجا) منذ أكثر من ثمانمائة عام ، فى قوم عرفوا بالاسم نفسه ، أيام كان (الساموراى) يملكون ويحكمون كل شىء فى (اليابان) ، حتى البشر ، وكان من حقهم قتلهم لو أرادوا ، دون أن يحاكموا ، أو توجّه إليهم أية اتهامات ، لذا فقد انعزلت مجموعة من البشر فى الجبال الباردة ، وراحوا يتدربون على كل فنون القتال العسكرية ، اعتمادًا على مرجع عسكرى ، وضعه جنرال يدعى (صن تزو) ، وتحوّلوا إلى جيش خاص يخشاه (الساموراى) ، ويتلفتون حولهم طوال الوقت خوفًا منه ، ثم تحولوا إلى السرقة والتدمير ، والاغتيالات بأنواعها ، وربما يعود هذا إلى أن اسم (النينجا) يعنى (السارقون) .. المهم أنهم نموا وتقدّموا وراحوا

ينشئون أطفالهم تنشئة قتالية ، منذ نعومة أظفارهم ، ومع مرور الوقت ، وتطوُّر (اليابان) ، ذاب (النينجا) فى صفوف الجيش ، أو فى الخدمة السرية ، وحاول البعض فى العصر الحديث إنشاء (نينجا) جديدة ، ولكن دون معرفة أسرارها الحقيقية ، التى حرصوا على إخفائها ، وعدم البوح بها للآخرين قط (*) .

ثم التقط نفسًا عميقًا من سيجاره ، ونفثه فى بطء ، قبل أن يضيف :

- ولكن أحدهم التقط الفكرة ، منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، وقرّر إحياء أسطورة (النينجا) .

سأله (يوشيدا) فى حذر :

- وهل نجح فى هذا ؟!

اتسعت ابتسامة (أوهارا) ، وهو يجيب فى خبث :

- انتظر ، وسترى بنفسك يا (يوشيدا) سان .

قالها ، وعيناه تبرقان وتتألقان على نحو مخيف ، يوحى بأن اللعبة تدخل مرحلة جديدة .. وعنيفة .

* * *

(*) حقيقة تاريخية .

٤ ـ القتلة ..

« لست أشعر بالارتياح لهذا .. » .

زفر (أدهم) فى حرارة ، وهو ينطق العبارة ، فى حجرة (منى) بالمستشفى ، قبل أن يستطرد فى توتر ملحوظ :

ـ لقد راجعت ملف (فاكو يوشيدا) بنفسى ، وكل كلمة فيه تكفى لتفجير أطنان من القلق فى أعماقى .. إنه إمبراطور صناعة الإليكترونيات الدقيقة فى العالم أجمع ، وعلى الرغم من هذا فهو رجل غير شريف ، بكل معنى الكلمة ، وله اتصالات عديدة مشبوهة ، وأخرى بعدد من كبار المسئولين ورجال الدولة ، وهو لا يتورّع عن القيام بأقذر الأعمال ، أو التحالف مع الشيطان نفسه ، فى سبيل أن يربح صفقة ما ، فما بالك عندما يتعلّق الأمر بأمنه الشخصى .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يسعى لقتل السفير حقًّا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ بل أنا واثق من أنه سيفعل .. لن يهدأ له بال ، حتى يشطب اسمه من الوجود ، فأمثال (يوشيدا) لا يجازفون بترك أى مصدر خطر .

سأله (قدرى) فى لهفة :

ـ (أدهم) .. هل تفكر فى السفر إلى (اليابان) ؟

قال (أدهم) فى حنق :

ـ المدير منعنى رسميًّا من هذا ؟ وأكّد لى أن الأمر لن يحتاج إلى وجودى ، ولقد رشحت اثنين من أفضل رجالنا لحماية السفير .. النقيب (أشرف مراد) ، والنقيب (ياسر حمدى) .. ولقد سافرا بالفعل إلى (سنغافورا) ، وسينطلقان منها إلى (طوكيو) مباشرة .. وأنا واثق من أنهما سيبذلان قصارى جهدهما للقيام بواجبهما ، إلا أننى ما زلت أشعر بالقلق .

سألته (منى) :

ـ وما الذى يقلقك بالضبط ؟! .. إنهم يحيطون السفير بسياج من الأمن كما يبدو .

زفر مرة أخرى ، وهزّ رأسه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ لست أدرى .

ثم أشار إلى صدره ، مضيفًا :

ـ إنه شيء ما هنا .. نوع من غريزة الشعور بالخطر ، ينمو مع الوقت ، وتصقله الخبرات والتجارب ، حتى يتحوّل إلى ما يشبه اليقين ، على الرغم من غياب الأدلة والقرائن والبراهين .

وشرد ببصره ، وهو يكرّر إشارته إلى صدره ، مغمغمًا :

ـ إنه شيء ما هنا .

ران على الحجرة صمت رهيب ، وتبادل (قدرى) و (منى) نظرة صامتة تفيض بالقلق ، قبل أن يقول الأوّل :

ـ (أدهم) .. هل احتفظوا بجواز سفرك فى الإدارة ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وأومأ برأسه إيجابًا فى مرارة ، وهو يقول :

ـ نعم يا (قدرى) .. المدير أخبرنى أن هذا إجراء وقائى ، حتى يحمينى من عنادى ، الذى قد يدفعنى إلى السفر إلى (طوكيو) ، ودس أنفى فى العملية ، على الرغم من أننى لم أستعد لياقتى بعد .

ارتفع حاجبا (منى) فى تأثر ، فى حين سأله (قدرى) فى حزم :

ـ متى تريد السفر إلى (طوكيو) يا (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة :

ـ فى أقرب فرصة .

نهض (قدرى) ، قائلاً فى حزم :

ـ امنحنى يومًا واحدًا ، وسيكون لديك جواز سفر ديبلوماسي أمريكى ، يحوى تأشيرة دخول صالحة لعام كامل .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ التأشيرات يتمّ إدراجها فى الكمبيوتر هذه الأيام .

ابتسم (قدرى) بدوره ، وهزّ كتفيه ، وهو يقول فى خبث :

ـ نحن أيضًا نتطوّر يا صديقى .. اطمئن .. ستحصل على تأشيرة دخول (اليابان) ، مسجّلة فى كمبيوتر السفارة هنا ، وفى مكتب الجوازات فى (طوكيو) نفسها ، و ..

قاطعه صوت أنثوى ، يقول فى حزم :

ـ اجعلهما تأشيرتين .

التفت الجميع إلى الباب ، حيث وقفت (جيهان) ، وهى تستطرد :

ـ بعد إذن (منى) بالطبع .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين شحب وجه (منى) ، وانخفض صوتها ، وهى تقول :

ـ وما المانع ؟!.. أنت زميلته رسميًّا .. أليس كذلك ؟!

قالت (جيهان) ، وهى تدلف إلى الحجرة :

ـ ولكنها مهمة غير رسمية .

أجابتها (منى) فى خفوت أكثر :

ـ وما الفارق ؟!.. (أدهم) أخبرنى أنكما تجيدان العمل معًا ، وأن ..

قاطعها (أدهم) فى صرامة :

ـ سأذهب وحدى .

احتقن وجه (جيهان) ، وهى تقول :

ـ (أدهم) .. إننى ..

قاطعها فى غضب :

ـ وفى المرة القادمة ، عندما ترغبين فى مرافقتى ، فى عملية رسمية أوغير رسمية ، اطلبى إذنى أنا ، وليس إذن (منى) .. هل تفهمين ؟!

قالت مرتبكة :

ـ لقد تصورت أن ..

صاح فى وجهها مكررًا :

ـ هل تفهمين ؟

احتقن وجهها أكثر ، وهى تومئ برأسها ، متمتمة :

ـ نعم يا (أدهم) .. أفهم .

شدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول فى حزم :

ـ عظيم .

ثم التفت إلى (قدرى) ، وسأله :

ـ أنت واثق من قدرتك على إنهاء جواز السفر غدًا ؟!

ارتفع حاجبا (قدرى) ، وهو يقول فى دهشة :

ـ (أدهم) .. هل فقدت الثقة فى مهاراتى ؟!

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ مطلقًا ، ولكنك تعلم كم أتلهّف على السفر .. إنه قائدى السابق ، ولن أسامح نفسى أبدًا ، لو أصابه أى سوء .

أومأ (قدرى) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ اطمئن .

التفت (أدهم) إلى (منى) ، وقال :

ـ اعذرينى يا عزيزتى ، ولكننى سأعود لممارسة تدريبات استعادة اللياقة .. لقد أصبح الوقت من ذهب بالفعل .

وعندما غادر المكان فى خطوات قوية واثقة واسعة ، كانت عيون (منى) و (جيهان) تتابعه فى انبهار ، وقلب كل منهما يخفق هاتفًا :

ـ كم أحب هذا الرجل .
ولكن هذا الهتاف لم ينتقل إلى شفاههما ..
ولم يجرؤ حتى على هذا ..
قط ..

* * *

صافح رجلا المخابرات (أشرف) و (ياسر) السفير المصرى فى احترام ، وقدّما نفسيهما إليه ، مع أوراق هويتهما ، وتبادلا معه بعض عبارات المجاملة التقليدية ، قبل أن يقول الأوّل :

ـ مهمتنا هى العمل على حمايتك شخصيًا يا سيِّدى السفير .. سنراجع بالطبع إجراءات الأمن فى السفارة ، وربما نعمل على تغيير بعضها ، أو تطوير البعض الآخر ، ولكننا فى النهاية لن نعوق عمل الزميل قائد الأمن هنا ، ولن نتحرك إلا بموافقته .

قال قائد الأمن بسرعة :

ـ لا تدعا هذا يقلقكما .. وجودكما لا يزعجنى إطلاقًا ، ولا يثير فى نفسى أية تحفظات ، فأنا أعلم دقة وحرج الموقف ، وضرورة الاستعانة بجهة أمنية أكبر لدعمه .

ابتسم (ياسر) ، قائلاً :

ـ عظيم .. هل تسمح لنا إذن بمراجعة كل شىء ؟

أجابه قائد الأمن :

ـ بالتأكيد .. تفضلا .

أشار (ياسر) إلى (أشرف) ، قائلاً :

ـ النقيب (أشرف) سيصحبك لمراجعة إجراءات ووسائل الأمن العامة ، أما أنا فأسراجع الإجراءات المتبعة فى حجرة مكتب السفير ومكان إقامته .

انصرف الرجلان على الفور ، فى حين سأل السفير (ياسر) فى توتر :

ـ هل تعتقد أن الأمر يستحق كل هذا ؟!

ابتسم (ياسر) ، وهو يجيب فى احترام :

ـ ما داموا أرسلونا إلى هنا ، فهو يستحق .

وتحرك فى حجرة المكتب الواسعة فى اهتمام ، وفحص كل ركن فيها ، وأطلّ عبر نوافذها ، ثم قال فى حزم :

ـ سنضع بعض القضبان الفولاذية على النوافذ ، ونضاعف الحراسة فى الحديقة ، وسنضيف آلة تصوير للمراقبة فى هذا الركن .

أجابه السفير فى صرامة :

ـ مستحيل !

تنهّد (ياسر) ، قائلاً :

ـ سيِّدى السفير .. إننا ..

قاطعه السفير فى صرامة أكثر :

ـ قلت لك مستحيل !.. إننى ألتقى بسفراء ومندوبى الدول هنا ، وتدور بيننا أحيانًا بعض المناقشات ، التى تنطوى على بيانات سرية للغاية ، ولا يمكننى السماح بوجود آلة تصوير هنا ، مهما كانت الأسباب .

استمع إليه (ياسر) فى اهتمام ، ثم قال فى احترام :

ـ أنت على حق يا سيِّدى السفير .. سنراعى هذا فى عملنا .

ثم أدار عينيه مرة أخرى فى المكان ، قبل أن يتابع :

ـ والآن ، هل يمكننا فحص محل إقامتك ؟

أشار السفير بيده ، قائلاً :

ـ إننا نقيم ، زوجتى وأنا ، فى الطابق العلوى ، ومن حسن الحظ أنها فى زيارة لـ (مصر) ، فى الوقت الحالى ، وإلا لتحطمت أعصابها ، مع ما يحدث هنا .

أبدى (ياسر) تفهمه وتعاطفه مع الموقف ، وقال :

ـ نتعشَّم ألا يدوم الأمر طويلاً يا سيِّدى السفير .

قالها ، واستدار ليلقى نظرة أخيرة على الحجرة ، قبل أن يغادراها معًا إلى الطابق العلوى ، حيث مقر إقامة السفير ، الذى قال :

ـ ينبغى أن تعلم أننى لن أسمح بوجود أية آلات تصوير أو مراقبة هنا ، فالمرء لا يشعر بالارتياح فى مقرّ إقامته ، عندما يشعر أن هناك من يتابعه طوال الوقت .

ابتسم (ياسر) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى السفير .. سيقتصر وضع آلات المراقبة على مدخل المكان ونوافذه من الخارج فحسب وربما ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحدّق فى شىء ما عبر النافذة ، قبل أن ينتزع مسدسه من غمده ويدفع السفير جانبًا ، وهو يهتف :

ـ احترس يا سيِّدى .

اختلّ توازن السفير ، وسقط أرضًا ، هو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟

وقبل حتى أن تكتمل كلمته ، اخترقت رصاصة صامتة زجاج النافذة ، وحطمته فى دوى مكتوم ، فى نفس الوقت الذى قفز فيه (ياسر) جانبًا ، واندفع نحو السلم وهو يصيح بالسفير :

ـ لا تنهض يا سيِّدى .. احتم بأى شىء ، ولكن لا تنهض بالله عليك .

انعقد حاجبا السفير فى توتر شديد ، وهو يقول فى حدة :

ـ من تظنني يا رجل ؟!

لم يتوقف (ياسر) ليجيب عن تساؤل السفير ، وإنما وثب عبر السلم ، واندفع نحو مدخل مبنى السفارة ، وهناك انضمَّ إليه (أشرف) ومسدسه فى يده ، وهو يهتف :

ـ محاولة اغتيال .. أليس كذلك ؟!

صاح به (ياسر) :

ـ ابق لحماية السفير .. ابتعدوا عن النافذة .

أطاعه (أشرف) دون مناقشة ، وأسرع يتسلق السلم بقفزات واسعة ، نحو مقر إقامة السفير ، فى حين تجاوز (ياسر) حديقة السفارة ، وبوابتها المعدنية ، وانطلق يعدو نحو المبنى المقابل عبر الشارع ، الذى انطلقت منه الرصاصة ، وقبل أن يصل إليه ، رأى سيارة تندفع عبر مرآبه بسرعة كبيرة ، وتنحرف بصرير عنيف إلى الشارع الرئيسى ، فانطلق نحوها ، هاتفًا :

ـ إنه القاتل .. أراهن أنه القاتل .

كان يعدو خلف السيارة بأقصى سرعته ، عبر الشارع المزدحم ، المكتظ بالسيارات ، والذى أعاق انطلاق سيارة القاتل ، الذى غمغم فى عصبية :

ـ اللعنة ! .. هذا الرجل يعدو وكأن ساقيه تحويان محركًا نفاثًا .

ثم أوقف السيارة وسط الطريق ، وقفز منها حاملاً بندقيته ذات المنظار المقرِّب ، وهو يعدو مبتعدًا بأقصى سرعة ..

واضطرب المارة للمشهد ، وراحوا يجرون فى كل اتجاه ، دون أن يدرك بعضهم ماذا يحدث بالضبط ، والقاتل يلوِّح ببندقيته ، صائحًا فى عصبية زائدة :

ـ ابتعدوا أيها الأوغاد .. ابتعدوا وإلا نسفت رءوسكم اللعينة !

ووثب فوق مقدمة إحدى السيارات ، وتجاوزها بقفزة قوية إلى الشارع ، و ...

وفجأة ، انقضَّ عليه (ياسر) .

كانت انقضاضة قوية عنيفة ، حتى إنها دفعت الرجل إلى الأمام لمترين كاملين ، قبل أن يسقط على وجهه ، و (ياسر) يكبِّل حركة يده اليسرى فى قوة ، قائلاً :

ـ هنا تنتهى المطاردة يا رجل .

أدار القاتل بندقيته فى حركة سريعة خلف ظهره ، وهوى بها على رأس (ياسر) ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

وعلى الرغم من عنف الضربة ، تشبث (ياسر) بماسورة البندقية فى قوة ، وانتزعها من يد القاتل ، وألقى بها بعيدًا ، وهو يقول :

- هل تظن هذا ؟!

دار القاتل حول نفسه فى مرونة مدهشة ، وخلّص يده من قبضة (ياسر) ، ثم وثب يركل مسدسه ، هاتفًا فى حدة :

- نعم .. أظن هذا .

هبّ (ياسر) واقفًا على قدميه ، وانقضّ عليه بقفزة مدهشة ، قائلاً :

- ألق هذا الظن خلف ظهرك إذن .

قالها ، وقدمه تركل القاتل فى معدته ، ثم يدور حول نفسه دورة غاية فى المرونة والرشاقة ، ويركله ركلة أخرى فى أنفه ..

واهتزّ رأس القاتل فى عنف ، ولكنه لم يسقط ، وإنما اتخذ وضعًا قتاليًا ، وهو يهتف :

- إذن فأنت تسعى للقتال .. فليكن أيها الأجنبى .. دعنا نختبر مهارتك القتالية ، فى مواجهة مقاتل يابانى .

ثم أطلق صيحة قتالية ، ووثب نحو (ياسر) ، ليركله ركلة عنيفة ، ولكن رجل المخابرات المصرى مال جانبًا

فى مهارة ، وتفادى الركلة بخفة مدهشة ، وأمسك قدم المقاتل ، وأدارها بحركة عنيفة ، فاختل توازن الرجل ، وسقط أرضًا ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا ، جعل (ياسر) يقول فى سخرية :

- ما رأيك أيها اليابانى ؟! .. هل خيبت نتائج الاختبار توقعاتك ؟!

هبّ القاتل واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى مقت :

- بل جعلتنى أدرك مستواك الحقيقى أيها الأجنبى .

وعاد يتخذ وضعًا قتاليًا جديدًا ، مستطردًا فى حدة :

- وأنا ندّ لك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفعت أصوات سيارات شرطة تقترب ، فانعقد حاجبا القاتل ، وتراجع فى حركة عنيفة ، هاتفًا :

- ولكن فى وقت آخر .

قالها ، ودار على عقبيه ، وانطلق يعدو مبتعدًا بأقصى سرعته ، تاركًا بندقيته ذات المنظار خلفه ، فانحنى (ياسر) يلتقط مسدسه ، وانطلق خلفه ..

ولكن فجأة ، اعترضت سيارة من سيارات الشرطة طريقه ، وقفز منها شرطيان ، صوبا إليه سلاحهما فى تحفز ..